

# القبر في الإسلام بحسب العصور الإسلامية



## القبر في الإسلام:

### بحسب المصادر الإسلامية:

رن الهاتف ذات يوم بعد نهاية برنامج "سؤال جريء" مباشرة. على الخط كانت سيدة جزائرية في عقدها الثالث من العمر، الخوف الذي لم يقدر صوتها على إخفائه والتردد في كلماتها رسماً أمامي صورة إنسانة متعبة ومرهقة. سألتها ما الذي دفعها إلى الاتصال ببرنامج مسيحي من بلد أغليبيته مسلمة، أجابت بأن القنوات الدينية الإسلامية هي التي دفعتها لذلك. أدهشني جوابها وقبل أن أسأل قالت، إن خطب بعض الشيوخ وحلقاتهم التي تتحدث عن الموت وعذاب القبر هي التي دفعتها لتغيير المحطات والبحث عن محطة دينية بديلة تبعث الارتياح في نفسها، محطة تمنحها شيئاً من السلام الداخلي والطمأنينة الروحية.

قالت أن ما سمعته عن عذاب القبر من الشيوخ كان كافياً لأن يبعث فيها الخوف والرعب، ويجعلها مريضة نفسياً لدرجة لم تعد تقدر حتى على النوم. وأصبح محور تفكيرها هو وصف الشيوخ لهذا العذاب وأشكاله وأهواله، بحيث صارت تخشى النوم لئلا تموت أثناءه، ليس ذلك فقط بل صار الموت هاجساً يقض مضجعها. صار الموت حاضراً أمامها في كل لحظة. وأمام هذا المصير المحتوم القاسي شعرت أنها بائسة. قالت: لأنني مهما عملت لن أضمن أن أنجو من هذا العذاب ومن القبر وما يحصل فيه، حوّل هذا الخوف أيامها إلى بكاء مستمر. صارت سجيناً عذاب القبر وهي بعد حية إلى أن رأت ذات يوم - كما قالت - برامجنا المسيحية ورأتنا نتحدث عن الخلاص، والسلام والمحبة والرجاء. ولمسها في الصميم أننا نعرض ما نؤمن به بكل محبة ورفق ويبقى للمشاهدين وحدهم حق القبول أو الرفض!

هذه السيدة الجزائرية هي مجرد صوت خافت لآلاف المسلمين الخائفين اليائسين ليس من حتمية الموت الذي لا يقدر أحد أن يتجنبه، ولكن من عذاب القبر الذي كما يرسمه الإسلام، ليس مجرد مكان بارد يحتضن جثة هامدة، بل مثنوى تعذيب وإرهاب لم تشهده أبشع السجون في أكثر العصور همجية. لقد تقابلت شخصياً مع أناس يدفعك خوفهم إلى الظن بأن حالتهم مرضية. لماذا فقد مثل هؤلاء الناس بهجة الحياة وضاع رجاؤهم ودخلوا عتمة القبر والحياة ما زالت في كامل إشراقها؟ ما هي الأسس التي يبني عليها الشيوخ خطبهم ودروسهم عن عذاب القبر؟ وكيف تشكلت هذه العقائد عند المسلمين؟ في هذا الكتيب البسيط سنحاول أن نعرض لكم خلاصة هذه العقائد كما جاءت من مصادرها الأصلية مدعومة بمجموعة من الصور لتساعدنا على تخيل ما يحصل داخل القبر بحسب المعتقدات الإسلامية.



## الموت:

تصور لنا المصادر الإسلامية موت الإنسان المؤمن (المسلم) مختلفا عن موت الكافر، فموت المؤمن يكون سهلا وتخرج روحه بسهولة بالغة مثلما تخرج الشعرة من العجين<sup>1</sup> أو مثلما تخرج قطرة الماء من القلة<sup>2</sup>، يأخذها ملك الموت ثم يلفها في كفن من أكفان الجنة وفي حنوط من حنوطها له أطييب رائحة وجدت على الأرض، فيصعدون بها مروراً بسبع سموات حتى يصلوا السماء السابعة، وحين وصولهم يقول الله للملائكة أن يكتبوا اسمه في الجنة ثم يؤمر بروحه لتعود إلى جسده لتبدأ رحلة سؤال القبر. وعن هذا يقول القرآن: "الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون" النحل ٣٢

أما الكافر فيكون موته صعبا بحيث تأبى روحه أن تخرج منه فينتزعها منه ملك الموت انتزاعا عنيفا، فتخرج من شذقه كالحمار<sup>3</sup>، فإذا خرجت منه وضعها الملائكة الذين معه على جمرة في مسوح خشن (عكس الكفن) وخرجت من الروح رائحة ننتنة كرائحة الجيفة فيحاول الملائكة أن يصعدوا بها إلى السماء السابعة، لكن ملائكة السماء الأولى لا يفتحون لهم الباب، فيقول لهم الله اكتبوا اسمه في سجين<sup>4</sup> (وهو مكان العذاب في الأرض السفلى)، ثم يلقون بروحه من فوق لتهوى إلى أسفل، ثم بعدها تعاد إلى جسده لتبدأ عنده رحلة عذاب القبر.

وهذا ما يؤكد القرآن في قوله: "وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أخرجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ" الأنعام ٩٣

<sup>1</sup> بحسب حديث رواه الحاكم وصححه الألباني في صحيح الجامع ٤٩٠  
<sup>2</sup> حسب ما جاء في حديث البراء الذي رواه أحمد وأبو داود والحاكم، وهو صحيح على شرط الشيخين وذكره الألباني في صحيح الجامع.  
<sup>3</sup> حسب ما جاء في معجم الطبراني الكبير، حديث عبد الله، وأيضا جاء في السلسلة الصحيحة.  
<sup>4</sup> حديث البراء في خروجهم لجنزة رجل من الأنصار، حديث طويل في مسند الإمام أحمد



بعد الموت:

كذلك تصور لنا المصادر الإسلامية أن بعد موت الإنسان وحين يكون الناس حاملين جثة الميت في الطريق إلى القبر تكون الروح إلى جانبها تراقب ما يجري، فإذا كان مسلماً مؤمناً صالحاً طلبت منهم الروح أن يستعجلوا في دفنها، لكن إن كان الشخص مسلماً غير صالح أو كان كافراً، كانت الروح خائفة من الذهاب إلى القبر تخاطب حاملي النعش قائلة "يا ويلي أين يذهبون بي"°، لكن كلام هذه الأرواح لا يسمعه الناس بينما تسمعه باقي المخلوقات الأخرى.

<sup>5</sup> بحسب الحديث الذي جاء في صحيح البخاري كتاب الجنائز باب قول الميت وهو على الجنازة: قَدَمُونِي.



الرعب من القبر:

مرحلة القبر أو عالم البرزخ كما تسميه المصادر الإسلامية يعتبر من أصعب المراحل وأكثرها رعباً وخوفاً للمسلم، حتى أن محمداً قال عنه: "مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ"<sup>6</sup> وقال عنه أيضاً: "إِنَّ الْقَبْرَ أَوْلُ مَنْزِلٍ مِنْ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ"<sup>7</sup> ولذلك كان محمد يستعيز من عذاب القبر دائماً حيث كان يقول: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ"<sup>8</sup> وبالتالي يعتبر القبر أصعب مرحلة من المفروض أن يخشاها المسلم عند موته، حتى أن عثمان بن عفان وهو أحد الذين بشرهم محمد بدخول الجنة كان عندما يقف على قبر يبيكي حتى تبطل لحيته، وعندما سئل لماذا لا يبيكي عندما تذكر الجنة والنار ويبيكي عند ذكر القبر، قال بأنه سمع محمداً يقول: والله « ما رأيت منظراً إلا والقبر أفظع منه »<sup>9</sup>.

<sup>6</sup> حديث حسن رواه أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم.

<sup>7</sup> رواه الترمذي وابن ماجه وحسنه الألباني في صحيح الجامع

<sup>8</sup> صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب التعوذ من عذاب القبر

<sup>9</sup> روي هذا عثمان بن عفان في الكثير من المصادر من بينها: فضائل عثمان بن عفان للإمام أحمد، وفضائل الصحابة للنسائي.



### استقبال القبر:

تصور لنا المصادر الإسلامية أن القبر أيضا يتكلم ويخاطب الناس، ويستقبل الميت سواء المؤمن أو الكافر كل بحسب الاستقبال الذي يليق به، فهو دائما يقول: "أنا بَيْتُ الْعُرْبَةِ، وَأَنَا بَيْتُ الْوَحْدَةِ وَأَنَا بَيْتُ الثَّرَابِ وَأَنَا بَيْتُ الدُّودِ"<sup>10</sup> وعندما يموت المسلم المؤمن يستقبله قائلا: "مَرْحَبًا وَأَهْلًا، أَمَا إِنْ كُنْتَ لِأَحَبِّ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي إِلَيَّ، فَإِذْ وَلِيِّكَ الْيَوْمَ وَصِرْتَ إِلَيَّ فَسَتَرِي صَنِيعِي بِكَ"<sup>11</sup> (بمعنى آخر ستري ما أفعله بك مادمت قد جئتني اليوم) وإذا مات المسلم العاصي أو الإنسان الكافر يستقبله قائلا: "لَا مَرْحَبًا وَلَا أَهْلًا أَمَا إِنْ كُنْتَ لِأَبْغَضِّ مَنْ يَمْشِي عَلَى ظَهْرِي إِلَيَّ فَإِذْ وَلِيِّكَ الْيَوْمَ وَصِرْتَ إِلَيَّ فَسَتَرِي صَنِيعِي بِكَ"<sup>12</sup>



### عندما يوضع في القبر:

تقول المصادر الإسلامية بأن الميت حين يوضع في قبره ويتولى عنه أصحابه فإنه يسمع صوت قرع نعالهم (أي أحذيتهم بلغة العصر). جاء في الحديث «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ، وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ، إِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرَعَ نِعَالِهِمْ»<sup>13</sup> مما يعني أن الروح تعود للجسد وتبدأ أحداث القبر يعيشها

<sup>10</sup> الحديث رواه الترمذي وحسنه

<sup>11</sup> رواه الترمذي عن أبي سعيد وحسنه.

<sup>12</sup> نفس المصدر السابق.

<sup>13</sup> صحيح مسلم، كتاب الجنة، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، وإثبات عذاب القبر، والتعود منه.

الإنسان روحا وجسدا. ولذلك تجد المسلمين يلقون السلام على الأموات حين يدخلون المقابر لا اعتقادهم أنهم أحياء في قبورهم يسمعونهم.<sup>١٤</sup>



سؤال الملكين:

بمجرد أن يذهب الأصحاب والأحباب يأتي ملكان "المنكر والنكير"<sup>١٥</sup> يقعدان الميت ويبدءان في سؤاله أسئلة تخص اعتقاده، بحيث يقول الحديث: " فتعاد روحه في جسده، فيأتيه ملكان فيجلسانه،



فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربي الله، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول: هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيقولان له: وما علمك؟ فيقول: قرأت كتاب الله (يعني القرآن) فأمنت به وصدقته"<sup>١٦</sup> بعد هذه الأسئلة يكون قد اجتاز الامتحان بنجاح وبالتالي ينادي مناد في السماء: "أن صدق عبدي، فافرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويفسح له في قبره مد بصره"<sup>١٧</sup>

<sup>14</sup> صحيح مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها

<sup>15</sup> جاء اسمها في حديث آخر رواه الترمذي وحسنه الألباني

<sup>16</sup> هو نفس حديث البراء بن عازب الذي رواه أحمد

<sup>17</sup> حديث البراء بن عازب، رواه أحمد في مسنده وهو حديث صحيح على شرط الشيخين ويتأييد من الشيخ الألباني.



<http://www.islamexplained.com>

بعد ذلك يأتيه رجل حسن الوجه والمنظر وطيب الريح، فيقول: "أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه يجيء بالخير، فيقول: أنا عمك الصالح"<sup>18</sup>



<http://www.islamexplained.com>

لا تقول المصادر الإسلامية مالذي يحدث بعد ذلك، لربما يبقى في القبر أو ربما يقال له: "نم كنومة العروس، الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه"<sup>19</sup> فيبقى كذلك إلى أن يبعثه الله من القبر، أو تبقى روحه تجول وتزور آخرين أيضا.<sup>20</sup>

<sup>18</sup> نفس المصدر السابق

<sup>19</sup> حديث رواه الترمذي عن أبي هريرة وقال عنه الألباني حسن.

<sup>20</sup> بحسب الحديث القائل: «إِذَا وَلِيَ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ فَلْيُحْسِنْ كَفَنَهُ فَإِنَّهُمْ يَنْزَرُونَ فِيهَا» عن أنس جامع المسانيد للسيوطي.



الكافر:

أما الكافر أو المسلم العاصي، فإنه عندما: "تعاد روحه في جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما دينك؟ فيقول هاه هاه لا أدري، فيقولان له: ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ (يعني يسألونه عن محمد) فيقول هاه هاه لا أدري، فينادي مناد من السماء، إن كذب فافرشوا له من النار"<sup>٢١</sup> وهنا تبدأ مرحلة من العذاب بعد أن فشل الكافر في تذكر الجواب لهذه الأسئلة، وحتى لو أراد أن يتذكر فإنه سينسى ولا يستطيع لأنه إنما يتذكر الذين يثبتهم الله فقط، وهذا هو معنى الآية القرآنية: "يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت"<sup>٢٢</sup>



المطرقة:

من بين أشكال العذاب هي تلك المطرقة الكبيرة التي لا يوجد لها مثل في الدنيا، لأنها مطرقة تضرب جسده كله ضربة واحدة فيندثر الجسد تقريبا، يقول الحديث: "ثُمَّ يُضْرَبُ بِمَطْرَقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً بَيْنَ أُذُنَيْهِ ، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ"<sup>٢٣</sup> أي تسمعه الحيوانات والبهائم وكل المخلوقات ما عدا الإنس والجن.

<sup>21</sup> نفس حديث البراء بن عازب الذي رواه الإمام أحمد

<sup>22</sup> سورة إبراهيم الآية ٢٧

<sup>23</sup> البخاري، باب الميت يسمع خفق النعال، كتاب الجنائز



وفي حديث آخر يصف هذه المطرقة بأنها "لو ضرب بها جبل كان تراباً، فيضربه ضربة حتى يصير تراباً، ثم يعيده الله كما كان، فيضربه أخرى فيصيح صيحة يسمعه كل شيء إلا الثقلين"<sup>٢٤</sup> ويضيف حديث آخر أنها مطارق وليست مطرقة واحدة: "ويُضْرَبُ بمطارقٍ من حديدٍ ضربةً، فيصيحُ صيحةً يسمَعُها مَنْ يَلِيهِ غيرَ الثَّقَلَيْنِ"<sup>٢٥</sup>



### تضييق القبر:

الشكل الثاني من أشكال العذاب هو ضيق القبر على الميت لكي يضغط جسده، يقول الحديث: ويضيق عليه قبره، حتى تختلف فيه أضلعه"<sup>٢٦</sup> وتقول بعض روايات الحديث أن هذا النوع من العذاب سيستمر عند البعض إلى يوم القيامة: "فَيُقَالُ لِلْأَرْضِ: التَّئِمِّي عَلَيْهِ. فَتَلْتَمُّ عَلَيْهِ. فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ. فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَدَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ"<sup>٢٧</sup>

<sup>24</sup> حديث البراء بن عازب في مسند الإمام أحمد

<sup>25</sup> رواه البخاري، تكتاب الجنائز، باب ماجاء في عذاب القبر

<sup>26</sup> نفس حديث البراء بن عازب الذي رواه الإمام أحمد

<sup>27</sup> الحديث رواه الترمذي، كتاب الجنائز، باب ما جاء في عذاب القبر



### الشجاع الأقرع:

ثم يأتي دور الثعبان الذي تسميه المصادر الإسلامية بالشجاع الأقرع، وهو ثعبان مخصص لعذاب القبر بحيث يقول الحديث: «إِنَّ الْكَافِرَ يُسَلِّطُ عَلَيْهِ فِي قَبْرِهِ شُجَاعٌ أَقْرَعٌ، فَيَأْكُلُ لَحْمَهُ مِنْ رَأْسِهِ إِلَى رِجْلِهِ، ثُمَّ يَكْسِي اللَّحْمُ فَيَأْكُلُ مِنْ رِجْلِهِ إِلَى رَأْسِهِ، فَهُوَ كَذَلِكَ»<sup>٢٨</sup>

أما بعض الأحاديث الأخرى فإنها لا تصور ثعبانا فقط إنما تذكر مجموعة من الثعابين حيث يقول الحديث: " وَيُقَيِّضُ اللهُ لَهُ سَبْعُونَ تِنِينًا لَوْ أَنَّ وَاحِدًا مِنْهَا نَفَخَ فِي الْأَرْضِ مَا أَنْبَتَتْ شَيْئًا مَا بَقِيَتْ الدُّنْيَا، فَيَنْهَشُنَّهُ وَيَخْدِشُنَّهُ حَتَّى يُفْضَى بِهِ إِلَى الْحِسَابِ"<sup>٢٩</sup>

هذا العذاب الذي يحصل في القبر بحسب الإسلام لا يسمعه الأشخاص ولكن البهائم تسمعه وذلك لقول

الحديث عن أهل القبور: "إِنَّهُمْ يُعَذَّبُونَ عَذَابًا تَسْمَعُهُ الْبِهَائِمُ"<sup>٣٠</sup>

<sup>28</sup> جامع المسانيد والمراسيل، للسيوطي، حديث روته عائشة.

<sup>29</sup> الحديث مروى عن أبي سعيد، رواه الترمذي.

<sup>30</sup> صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب التعوذ من عذاب القبر



### العمل الخبيث:

ومن الأشياء التي تحصل للميت الذي لم يحسن الإجابة على الأسئلة أو لم يتذكرها، أن عمله "الطالح" يتشكل على هيئة رجل، يقول الحديث: "ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح، فيقول: أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر، فيقول: أنا عمك الخبيث"<sup>31</sup> كنت بطيئاً عن طاعة الله سريعاً في معصية الله فجزاك الله شراً<sup>32</sup>

### يرى مقعده من النار:

يعرف الإنسان الكافر (أو المسلم العاصي) أن مصيره سيكون جهنم بعد الذي حصل له في القبر، ويؤكد له الله هذه الحقيقة من خلال أن يريه شيئاً من جهنم، حيث يقول الحديث: "«إِنَّمَا الْقَبْرُ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفْرِ النَّارِ»"<sup>33</sup> ويقول أيضاً "يُفْرَجُ لَهُ فُرْجَةٌ قَبْلَ النَّارِ فَيَنْظُرُ إِلَيْهَا يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَيُقَالُ لَهُ: هَذَا مَقْعَدُكَ مِنْهَا، كُنْتَ عَلَى الشَّكِّ، وَعَلَيْهِ مِتَّ، وَعَلَيْهِ تُبْعَثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ يُعَذَّبُ"<sup>34</sup>

<sup>31</sup> نفس حديث البراء بن عازب الذي رواه الإمام أحمد

<sup>32</sup> نفس الحديث عن البراء بن عازب ورد في مسند الإمام أحمد برواية أخرى

<sup>33</sup> الحديث رواه الترمذي

<sup>34</sup> رواه الإمام أحمد عن عائشة.

إلى متى يستمر العذاب؟

يعتقد المسلمون أن هناك من الناس من يعذبون دائماً في قبورهم إلى أن تقوم القيامة<sup>35</sup>، ومنهم من يعذبون إلى فترة محدودة فيخفف عنهم العذاب بوصول بعض الحسنات لهم من الأحياء أو أعمال تركوها (يقول الحديث: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٌ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَكْدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ»<sup>36</sup>. أو بأن تم تعذيبهم لأجل بعض المعاصي ثم توقف العذاب عنهم بعد أن نالوا ما يستحقونه من عذاب.

لماذا يعذب الإنسان؟

قد يستغرب المرء حين يعلم أن أكثر عذاب القبر هو متعلق بالنظافة الجسدية، إذ يقول أحد الأحاديث: "مرَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم بِقَبْرَيْنِ فَقَالَ: «إِنَّهُمَا لِيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ: أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْسِي بِالْمِيمَةِ» ثُمَّ أَخَذَ جَرِيدَةً رَطْبَةً فَشَقَّهَا نِصْفَيْنِ، فَغَرَزَ فِي كُلِّ قَبْرٍ وَاحِدَةً. قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ لِمَ فَعَلْتَ هَذَا؟ قَالَ: «لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَبْيَسَا»<sup>37</sup>.

وعن محمد أيضاً أنه قال: "إن أكثر عذاب القبر من البول"<sup>38</sup>. وفي رواية أخرى: "عامَّة عَذَابِ الْقَبْرِ مِنَ الْبَوْلِ"<sup>39</sup>.

كيف ينجو الإنسان من العذاب؟

مادام عذاب القبر على هذه الصفة المخيفة ويخشاه كل المسلمين بلا استثناء، فإن غاية المسلم هي أن يتجاوز هذه الفتنة حين يموت، ولعل من أشهر الأشياء التي يمكن للمسلم أن يعملها ليتخلص من عذاب القبر هي أن يموت شهيداً، فالشهادة بحسب الإسلام ستجنبه عذاب القبر، وهذا ما يؤكد هذا الحديث:

«إن للشهيد عند الله عزَّ وجلَّ - قال الحكم: ست خصال - أن يغفر له في أوَّل دفعة من دمه ويرى - قال الحكم: ويرى - مقعده من الجنة ويحلى حلة الإيمان ويزوج من الحور العين ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الأكبر - قال الحكم: يوم الفزع الأكبر - ويضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين إنساناً من أقاربه»<sup>40</sup>. وفي حديث آخر قال محمد: «كُلُّ مَيِّتٍ يُحْتَمُّ عَلَى عَمَلِهِ إِلَّا الَّذِي مَاتَ مُرَابِطاً فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنَّهُ يُنْمَى لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَأْمَنُ مِنْ فِتْنَةِ الْقَبْرِ»<sup>41</sup> وطبعاً نحن نعلم أن الذي مات مرابطاً في سبيل الله هو الشهيد الذي كان في ماكن يستعد فيه لمهاجمة العدو.

وردت طرق أخرى يمكن للمسلم أن ينجو بها من عذاب القبر ولكن تظل الشهادة هي أشهرها وأضمنها، من بين هذه الطرق هي أن مات يوم الجمعة من المسلمين يعتبر محظوظاً لأنه سيكون له امتياز عدم المرور من مرحلة عذاب القبر، حيث يقول الحديث: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر»<sup>42</sup>.

<sup>35</sup> يستدلون على ذلك بقول القرآن: النار يعرضون عليها غدواً وعشيا (غافر ٤٦)، أو الحديث الصحيح الذي ورد في البخاري: يقول "يفعل به إلى يوم القيامة"

<sup>36</sup> رواه مسلم كتاب الوصية باب: ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته

<sup>37</sup> صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب ما جاء في غسل البول

<sup>38</sup> رواه الإمام أحمد، ورواه ابن ماجة بلفظ: "أكثر عذاب القبر من البول" ووافقه الذهبي والألباني.

<sup>39</sup> رواه الحاكم في المستدرک عن ابن عباس مرفوعاً إلى محمد.

<sup>40</sup> رواه الإمام أحمد، ورواه الترمذي أيضاً،

<sup>41</sup> رواه الترمذي، كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء في فضل من مات مرابطاً

<sup>42</sup> رواه الإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو عن محمد.

والأغرب من هذه الطرق كلها هي أن مات بسبب مرض في بطنه أيضا سينجو من عذاب القبر لقول الحديث: «مَنْ قَتَلَهُ بَطْنُهُ لَمْ يُعَذَّبْ فِي قَبْرِهِ»<sup>43</sup> وموت البطن معناه مات بسبب داء أو مرض في بطنه بحسب ما فسرتة الكتب الإسلامية.

أسئلة منطقية متعلقة بعذاب القبر:

إذا كانت المصادر الإسلامية تصور لنا موت الإنسان الكافر على أنه يكون صعبا وروحه لا تخرج إلا بصعوبة وبتعذيب من ملاك الموت، ماذا عن الكفار الذين يموتون بسكتة قلبية في ثواني، أو بحادث سيارة أو بانفجار طائرة ألا يكون موتهم مثل موت المسلمين الذين يموتون بنفس الطريقة؟ ما الفرق بين الاثنين؟

إذا كان عذاب القبر يصيب الذين يموتون ميتة طبيعية، ماذا عن الذي غرق في البحر مثلا وأكلته الأسماك؟ أين سيعذب وكيف سيأتيه الملكان؟ وكيف سيضيق عليه قبره وهو ليس له قبر أصلا؟ ماذا عن الذين لا يدفنون مثلا في بعض الدول إنما يحرقون أجسادهم ويضعون رمادها في قنينة ويمكنك أن تراها، فهل هذه ستعذب في القنينة؟ وهل سيأتي الملكان إلى داخل القنينة؟ وهل ستضيق عليه القنينة حتى تختلف أضلاعه؟ كيف سيحصل هذا؟

كيف يكون أكثر عذاب القبر بسبب عدم التطهر من البول؟ هل التطهر من البول على هذه الدرجة من الأهمية حتى أكثر من باقي الخطايا الكبرى التي يرتكبها الإنسان كالقتل والزنى والسرقه والكراهية.. إلخ؟

ما الغاية من سؤال الملكين، إن كان الله هو الذي يثبت المسلمين ويلهمهم الأجوبة، ولا يثبت الآخرين؟

ما هو العدل في أن يعفو الله عن الذين ماتوا يوم الجمعة أو ليلتها وينجيهم من عذاب القبر؟ أليس هذا نوع من الجور والظلم تجاه من لم يموتوا يوم الجمعة؟ هل غفران الله اعتباطي لهذه الدرجة حتى يتعلق فقط باليوم والزمّن الذي يموت فيه الإنسان؟ وهل هذا عدل خصوصا وأن الأعمار بيد الله وهو الذي يقرر وقت وزمن موت الإنسان؟

ثم ما هي الحكمة في أن ينجو من عذاب القبر من مات بسبب مرض في بطنه؟ هل غفران الله متعلق أيضا بنوع الأمراض التي تصيبنا؟ هل الذي مات بسبب قرحة في المعدة مثلا (وهي مرض من أمراض البطن) يحق له أن ينجو من عذاب القبر بينما الذي مات بسبب سكتة قلبية لا ينجو منه؟ ما الحكمة من ذلك؟ وعلى أي أساس يتم هذا الغفران إذن؟

والسؤال الأخطر أليست هذه العقيدة واحدة من أهم الأسباب التي تدعو الناس في عالمنا الإسلامي إلى التفكير في الموت في سبيل الله (عن طريق العمليات الانتحارية) حتى يحق لهم النجاة من عذاب القبر ومن سؤال الملكين؟ ألا يمكن عد هذه العقيدة واحدة من أهم العقائد التي تمهد الطريق أمام حب الموت بدل حب الحياة؟

أسئلة كثيرة تدعونا أن نعيد النظر في عذاب القبر ونسائل التساؤل المنطقي: هل يعقل أن تكون هذه العقائد من الله؟ أم هي مجرد إرث خرافي من أديان وثنية سابقة للإسلام؟

<sup>43</sup> رواه الترمذي والنسائي وأحمد، وصححه الألباني.

الحل الحقيقي:

كل من يقرأ هذه العقائد لا بد وأن يسلم بحقيقة واحدة: أنه يشفق على من يؤمن بها! لأن عقائد مثل هذه تجعل المؤمن بها يبدو وكأنه عاجز أمام هذا المصير المحتوم، ولا مفر له من مواجهته، ويتأكد له فعلا أنه لا خلاص من هذا الخوف ولا نجاة مما بعد الموت إلا بالموت شهيدا وإلا فلا بد من مواجهته، فما هو الحل ياترى؟ وما البديل الذي ننادي به؟

إن الحل الحقيقي لخوف المسلم من الحياة الأخرى ومن عذاب القبر لا يكمن إلا في شخص واحد، شخص يسوع المسيح الذي قال عن نفسه: "أنا هو القيامة والحياة من آمن ولو مات فسيحيا وكل من كان حيا وآمن بي فلن يموت إلى الأبد"<sup>٤٤</sup> وهو الذي قيل عنه أيضا: "فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الْأَوْلَادُ فِي اللَّحْمِ وَالْدَّمِ اشْتَرَكُوا هُوَ أَيْضًا كَذَلِكَ فِيهِمَا، لِكَيْ يُبَيِّدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيِ إِبْلِيسَ، وَيُعَيِّقَ أَوْلِيَاءَ الَّذِينَ خَوْفًا مِنَ الْمَوْتِ كَانُوا جَمِيعًا كُلَّ حَيَاتِهِمْ تَحْتَ الْعُبُودِيَّةِ."<sup>٤٥</sup> كثيرون لهم خوف من الموت وما بعد الموت، والسبب أنه لا يوجد أي دين يضمن للإنسان حياته الأبدية ولم ولن يوجد أي شخص يضمن لشخص آخر حياته الأبدية، فالخوف من الموت موجود عند كل الأديان لأن ما بعده مجهول وغير معروف والإنسان بطبعه يخاف من المجهول، لكن السيد المسيح هو الوحيد الذي لم يترك لنا ولو مثقال ذرة من شك بخصوص الحياة الأبدية، هو الوحيد الذي ضمن لنا الحياة بعد الموت، المسيح لم يعلمنا الخوف من الموت ولا من القبر ولا من العذاب فيه، بل علمنا أن من يموت مؤمنا به ينتقل إلى الأمجاد السماوية مباشرة، فقد تكلم بكل ثقة وسلطان لأحد اللصين الذين صلبا معه قائلا: "الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِيَ فِي الْفِرْدَوْسِ"<sup>٤٦</sup> لذلك لا يخاف المؤمن بالمسيح من عذاب القبر ولا من سؤال ملائكة وعدم قدرته على الإجابة، أو من نسيانه للإجابة الصحيحة، المؤمن بالمسيح متأكد كل التأكد أنه سينتقل مباشرة ليكون مع السيد المسيح في مجده السماوي يتمتع بحضوره مبتهجا بحياته الأبدية، تلك السيدة الجزائرية التي تحدثت عنها في بداية هذا الكتيب، قبلت السيد المسيح مخلصا لحياتها في آخر الأمر، قبلت دعوته القائلة: "تعالوا إلي يا جميع المتعبين والثقيلي الأحمال وأنا أريحكم" وتخلصت من الخوف الداخلي ولأول مرة في حياتها استطاعت أن تحس بسلام وراحة داخلية وأن تتحرر من رعب الموت ومن خوف عذاب القبر، لقد كان الخوف دافعا قويا وراء بحثها عن الحقيقة، لأن شيئا ما في داخلها كان يقول لها أن الله ليس أبدا إله خوف ولا إله شك، ولا إله رعب بل هو أولا إله محبة وإله سلام وأب حنون لكل من يريد أن يصير ابنا له، وبحثها عن الحقيقة قادها إلى معرفة الشخص الوحيد القادر أن يخلصها من هذا الخوف: لقد عرفت يسوع المسيح، لقد عرفت الحق وتحررت للأبد، وهذا ما تركده كلمات الإنجيل الخالدة: "تعرفون الحق والحق يحرركم."<sup>٤٧</sup>

<sup>44</sup> إنجيل يوحنا أصحاح ١١ آيات ٢٥ إلى ٢٦

<sup>45</sup> عبرانيين أصحاح ٢ آيات ١٤ و ١٥

<sup>46</sup> لوقا أصحاح ٢٣ آية ٤٣

<sup>47</sup> يوحنا ٨ آية ٣٢